Coptic Orthodox Church
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

حوار بين

فتياننا الأبطال

وأم النور

4

لماذا اختار السمائيون التبشير للرعاة؟

اعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

لماذا اختار السمائيون التبشير للرعاة؟

تطلع مارك إلى أم النور، وسألها: "ما هي مشاعرك يا أم النور أنتِ والقديس يوسف حينما لم تجدا موضعًا تستريحان فيه فالتجأتما إلى مزود للبقر، وتمت ولادتك للطفل يسوع في المزود؟"

أجابت أم النور: "ما كان يشغلني يا ابني مارك ليس البحث عن موضع تتم فيه الولادة، إنما ما كان يشغلني محبة اللّه العجيبة لضعفي، وارساله لي رئيس الملائكة جبرائيل ليبشرني بميلاد يسوع المسيح. وقد ربطت هذه البشارة بما كنت أفكر فيه خلال التسع سنوات وأنا في الهيكل.

سألت أستير أم النور: ما هي مشاعرك يا أمي حينما ذهبتِ مع والدك يواقيم ووالدتكِ حنة إلى هيكل الرب؟

أجابت أم النور: "شعرتُ أنني في بيتي، خاصة وقد رأيت رجلاً كبير السن، فكنت أدعوه: "جدي سمعان"، وكنت أسمعه وهو يتحدث مع رئيس الكهنة والكهنة واللاويين والفريسيين وغيرهم. بعد فترة عرفت أنه كان أحد أفراد جماعة تبلغ ٧٢ شخصًا يجيدون الآرامية واليونانية، اختارهم الملك بطليموس لترجمة كتابنا المقدس (العهد القديم) ليحتفظ به في مكتبة الإسكندرية الضخمة.

فيما كان منهمكًا في الترجمة توقفت عند عبارة وردت في سفر إشعياء النبي عن المسيّا: ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل (إش ٧: ١٤). ارتبك هذا الشيخ الوقور وتساءل في داخله: هل يمكن لعذراء أن تحبل وتلد ابنًا بدون زواج؟ شعرت أن غير اليهود سيسخرون من هذه العبارة، لأنه لم يُسمع قط منذ أيام آدم وحواء أن عذراء تحبل بدون الارتباط برجلٍ.

استبدل جدي سمعان كلمة عذراء بكلمة "فتاة"، والعجيب أنه في نفس اليوم وجدها قد مُسحت وكُتبت "عذراء"، وتكرر هذا الأمر في اليوم الثاني واليوم الثالث. في وسط هذا الارتباك صلى إلى اللّه سائلاً عن هذا الأمر، فظهر له ملاك وأخبره أنه لن يموت حتى يرى بعينيه الطفل الذي سيولد من عذراء.

اشتاق هذا الجد المؤمن أن يرى هذا الطفل الذي تحدث عنه الملاك. وإذ طال به الزمن اشتاق أن ينطلق بسلام من هذا العالم، وفي نفس

الوقت كان مبتهجًا أنه سيرى مولود العذراء.

سمعت عن هذا الأمر وكنت أتساءل تُرى من هذه العذراء المُطوّبة التي يمنحها الرب ابنًا ليس من زرع رجل. كعادتي كنت أصلي من أجل هذا الأمر، ولم أفاتح فيه أحد قط حتى الكهنة واللاويين الذين كانوا يحبونني.

كثيرًا ما كنت اسمع من الكهنة واللاويين وغيرهم من العاملين في الهيكل والذين كانوا يقدمون تقدمات وذبائح للرب يتحدثون عن قرب مجيء المسيّا الملك العظيم الذي يحرر اليهود من الاستعمار الروماني. ومما أثارني أنني لم أسمع أحدهم يصلي بجدية ليتعرفوا عن مجيء مولود العذراء.

لم أتجاسر قط أن أسأل جدي سمعان الشيخ عن هذا الأمر حتى لا أحرجه، لأني كنت أعلم حتى إلى يوم خروجي من الهيكل وخطبني القديس يوسف النجار أنه لم يكن يعرف متى يتحقق هذا الوعد الإلهي له.

عاد الفتى مارك يسأل أم النور: "ما هي مشاعرك يا أمي من جهة ولادة الطفل يسوع في مزود؟"

أجابت أم النور: "ما كان يشغلني أنني أصغر من أن أفكر في هذا الأمر. فقد بشرني رئيس الملائكة جبرائيل أن الروح القدس يحلّ عليّ وقوة الآب تظللني والابن القدوس يتجسد فيّ. هذه البشارة الخاصة بميلاد مخلص العالم والصادرة من الله ليست في حاجة إلى من يدبر أمرها.

عادت أستير تسأل أم النور: "لماذا لم يرسل الله ملاكًا يبشر رئيس الكهنة أو الكهنة أو اللاويين أو الفريسيين أو أحد العاملين في الهيكل بتجسد ابن الله فيكِ يا أم النور؟

أجابت أم النور قائلة:

أولاً: الله بحكمته الإلهية يود تأكيد أن ابن الله تجسد ليتمم الخلاص ليس لشعب معين دون بقية الشعوب، ولا لفئة معينة دون بقية الفئات. لذلك أرسل جوقة من الملائكة للرعاة الساهرين بغض النظر عن جنسياتهم أو مركزهم الاجتماعي أو إمكانيّاتهم، كما أرسل كوكبًا يقود المجوس الذين من الأمم ليتمتعوا برؤية طفل المزود.

ثانيًا: يبدو أن الرعاة وأيضًا المجوس كانوا مشتاقين إلى التمتع برؤية المخلص فأعطاهم الرب سؤل قلوبهم، بينما لم يهتم الكهنة باللقاء مع المخلص مع أنهم أرشدوا هيرودس الملك عن المدينة التي وُلد فيها، إذ يقول متى البشير: "فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع اورشليم معه. فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح؟ فقالوا له في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبي. وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل" (مت ٢: ٣-٦).

ثالثًا: أكد الكتاب المقدس أن جوقة الملائكة ظهروا للرعاة الساهرين على الغنم، وكأن الرب أكد مبدأ العدالة الإلهية: "كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير" (مت ٢٥: ٢١).

رابعًا: لم يرسل الله ملاكًا واحدًا للرعاة بل جوقة من الملائكة، ليعلن وحدة السمائيين مع الأرضيين، وعظمة الحب المتبادل بين السماء والأرض".

خامسًا: لم يكن الكهنة والكتبة واللاويين في حاجة إلى بشارة الملائكة بميلاد طفل المزود، إذ كان بين أيديهم كتابات الأنبياء الواضحة عنه، وكانوا يقدمون الذبائح الحيوانية التي ترمز لذبيحة الصليب.

سادسًا: رأى الرعاة الطفل يسوع ملفوفًا بأقمطة التي لم تعُقهم عن إدراك مجده الإلهي، بينما سمع الكهنة السيد المسيح ورأوا عجائبه، فاتهموه أنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين (لو ١١: ١٥).

سابعًا: كان يليق بالعاملين في الهيكل أن يدركوا قول موسى النبي وبقية الأنبياء "تهللوا أيها الأمم شعبه" (تث ٣٢: ٤٣)، وقول المرتل: "ليُعرف في الأرض طريقك، وفي جميع الأمم خلاصك. فلتعترف لك الشعوب يا الله (مز ٦٦ صلاة باكر في الأجبية).

ثامنًا: يقول القديس مار أفرآم السرياني:

- اليوم ابتهج الحراس، لأن الساهر (دا ٤: ١٣) جاء لإيقاظنا من نوم الخطية العميق.
- لقد نطق الحراس العلويون بالسلام للحراس الساهرين. امتزج الحراس

بالحراس، وفرح الكل، لأن العالم جاء إلى الحياة.

❖ جاء الرعاة حاملين الهدايا من قطعانهم: لبنًا لذيذًا، ولحمًا طازجًا وتسبيحًا لائقًا... اعطوا اللحم ليوسف واللبن لمريم والتسبيح للابن.

القمص تادرس يعقوب ملطي